

الأسرة كفضاء لإعادة إنتاج الهوية الثقافية في ظل التحولات المعاصرة.
The Family as a Space for the Reproduction of Cultural Identity
in Light of Contemporary Transformations

د. تخريست سامية. جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2

samia.takhrist@univ-alger2.dz

د. صادق إيمان. جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2

imane.sadek@univ-alger2.dz

تاريخ النشر:	تاريخ القبول:	تاريخ الإرسال:
2026/06/30	2026/06/23	2026/05/01

الملخص:

تتناول هذه الدراسة الأسرة كفضاء أساسي لإعادة إنتاج الهوية الثقافية في ظل التحولات الاجتماعية المعاصرة التي مست بنية المجتمع ووظائف مؤسساته التقليدية. وتنطلق الدراسة من مقارنة سوسيولوجية تبرز دور الأسرة في نقل القيم والمعايير والرموز الثقافية، مع الأخذ بعين الاعتبار تأثيرات العولمة، والرقمنة، وتعدد مؤسسات التنشئة الاجتماعية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الأسرة لم تفقد وظيفتها في إنتاج الهوية، بل أعادت تشكيلها في سياق تفاعلي مع المدرسة والإعلام والفضاء الرقمي. كما أبرزت النتائج بروز هويات ثقافية هجينة تعكس التداخل بين المحلي والعالمي. وتؤكد الدراسة أن بناء الهوية أصبح عملية ديناميكية تقوم على التفاوض المستمر بين مختلف المرجعيات الثقافية، مما يجعل الأسرة فاعلاً محورياً في إعادة إنتاج الثقافة داخل المجتمع المعاصر.

الكلمات المفتاحية:

الأسرة؛ الهوية الثقافية؛ التنشئة الاجتماعية؛ التحولات المعاصرة؛ العولمة

Abstract:

This study examines the family as a key space for the reproduction of cultural identity in light of contemporary social transformations affecting traditional social structures and institutions. It adopts a sociological approach that highlights the role of the family in transmitting cultural values, norms, and symbols, while considering the impacts of globalization, digitalization, and the diversification of socialization agencies. The study finds that the family has not lost its role in identity formation but has reconfigured it through interaction with school, media, and the digital sphere. The results also reveal the emergence of hybrid cultural identities reflecting the interplay between the local and the global. The study concludes that identity construction has become a dynamic process based on continuous negotiation among multiple cultural references, making the family a central actor in cultural reproduction within contemporary society.

Keywords:

Family; cultural identity; socialization; contemporary transformations; globalization

مقدمة:

تُعدّ الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى والأكثر رسوخاً في بنية المجتمع، إذ تمثل الإطار الأساسي الذي تُبنى داخله شخصية الفرد منذ مراحل التنشئة الأولى، وتتشكل فيه أنماط السلوك والقيم والمعايير الاجتماعية التي توجه حياته اللاحقة. فهي ليست مجرد وحدة بيولوجية أو اقتصادية، بل هي بناء سوسيولوجي وثقافي معقد، يؤدي وظائف متعددة تتعلق بإعادة إنتاج النسق الاجتماعي، ونقل الثقافة، وضمان استمرارية الهوية الجماعية عبر الأجيال (Giddens, 2006). ومن هذا المنظور،

تشكل الأسرة فضاءً حيويًا لإنتاج وإعادة إنتاج الهوية الثقافية داخل المجتمع.

وتكمن أهمية الأسرة في كونها وسيطًا رئيسيًا في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يتعلم الفرد داخلها اللغة، والقيم، وأنماط التفكير، وأساليب التفاعل الاجتماعي الأولى. كما تُسهم في تشكيل الإطار المرجعي الذي من خلاله يفهم الفرد العالم من حوله، ويحدد موقعه داخل البنية الاجتماعية. وبالتالي، فإن الأسرة لا تنقل الثقافة بشكل ميكانيكي، بل تعيد إنتاجها بشكل ديناميكي يتأثر بالسياقات الاجتماعية والتاريخية المحيطة بها (Durkheim, 1997).

غير أن التحولات المعاصرة التي يشهدها العالم اليوم، بفعل العولمة الاقتصادية والثقافية، والتطور التكنولوجي، وثورة الاتصال الرقمي، قد أعادت تشكيل البيئة التي تتحرك داخلها الأسرة بشكل جذري. فقد أصبحت الثقافة المعاصرة تتسم بالتعدد والتداخل والسرعة، مما أدى إلى بروز أنماط ثقافية متنافسة ومفتوحة على العالم، لم تعد محصورة في المجال المحلي أو التقليدي (Castells, 2010). هذا الوضع أدى إلى إعادة النظر في دور الأسرة كمؤسسة وحيدة أو مركزية في تشكيل الهوية الثقافية.

وفي هذا السياق، يشير التحليل السوسيولوجي المعاصر إلى أن العولمة لم تؤد فقط إلى توحيد بعض الأنماط الثقافية، بل ساهمت أيضًا في تفكيك البنى الثقافية التقليدية وإعادة تركيبها داخل فضاءات جديدة، خاصة مع توسع الإعلام الرقمي ومنصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت

فاعلاً رئيسياً في تشكيل القيم والاتجاهات والسلوكيات (Sassen, 2012). وبذلك لم تعد الأسرة وحدها الفضاء المسيطر على إنتاج الهوية، بل أصبحت تتقاسم هذا الدور مع المدرسة، ووسائل الإعلام، والفضاء الرقمي.

كما أن الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث، وما صاحبه من تحولات في أنماط العمل، والتوسع الحضري، وتغير أنماط العيش، قد أدى إلى إعادة تعريف أدوار الأسرة ووظائفها. فقد تراجعت بعض وظائفها التقليدية، خاصة في ما يتعلق بالضبط الاجتماعي الصارم لصالح مؤسسات أخرى أكثر تخصصاً وتنظيماً، مثل المؤسسات التعليمية والإدارية (Weber, 1978). هذا التحول أسهم في إعادة تشكيل العلاقة بين الفرد والأسرة والمجتمع بشكل عام.

ومن جهة أخرى، فإن هذه التحولات لم تؤد فقط إلى تغير في وظائف الأسرة، بل أيضاً إلى تغير في طبيعة الهوية الثقافية ذاتها. فقد أصبحت الهوية أكثر مرونة وتعدداً، وأقل ثباتاً من السابق، حيث يتعرض الفرد داخل المجتمع المعاصر إلى مصادر متعددة للثقافة والانتماء، مما يخلق حالة من التداخل بين الهويات المحلية والعالمية (Castells, 2010). وهذا ما يجعل عملية إعادة إنتاج الهوية داخل الأسرة عملية معقدة تتأثر بعوامل داخلية وخارجية متعددة.

وانطلاقاً من هذا السياق النظري، يهدف هذا المقال إلى تحليل الأسرة كفضاء لإعادة إنتاج الهوية الثقافية في ظل التحولات المعاصرة، من خلال فهم الكيفية التي تتأثر بها هذه العملية بالتغيرات الاجتماعية

والثقافية والتكنولوجية، وكيف تعيد الأسرة التكيف مع هذه التحولات للحفاظ على دورها المركزي في بناء الهوية الثقافية داخل المجتمع.

1. مدخل عام حول إشكالية الأسرة والهوية الثقافية:

تُعَدُّ الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينشأ داخلها الفرد، وتشكل الإطار الأولي الذي تتبلور فيه شخصيته الاجتماعية والثقافية، حيث يكتسب من خلالها اللغة، والقيم، وأنماط التفكير، والمعايير التي تضبط سلوكه داخل المجتمع. ومن هذا المنظور، لا تُفهم الأسرة باعتبارها مجرد وحدة بيولوجية تقوم على روابط الدم والزواج، بل باعتبارها بنية سوسيولوجية وثقافية معقدة، تؤدي وظائف أساسية تتعلق بإعادة إنتاج النظام الاجتماعي وضمان استمرارية النسق الثقافي عبر الأجيال (Giddens, 2006). فهي بذلك تمثل الفضاء الأول لإنتاج الهوية الثقافية وترسيخها داخل الفرد.

وتكمن أهمية الأسرة في كونها وسيطاً أساسياً في عملية التنشئة الاجتماعية الأولية، حيث يتم من داخلها بناء التمثلات الأولى للعالم، وتشكيل الإدراك الاجتماعي، وتحديد الإطار المرجعي الذي من خلاله يفهم الفرد ذاته والآخرين. فعملية التنشئة داخل الأسرة لا تقتصر على نقل القيم بشكل مباشر، بل تتضمن أيضاً إعادة إنتاج رمزية للثقافة، يتم من خلالها ترسيخ أنماط الانتماء والولاء الاجتماعي، بما يجعل الهوية

الثقافية نتاجًا تفاعليًا بين الفرد والبنية الأسرية التي ينتمي إليها (Durkheim, 1997).

غير أن هذا الدور المركزي للأسرة في تشكيل الهوية الثقافية لم يعد كما كان في السياقات التقليدية، إذ شهدت المجتمعات المعاصرة تحولات عميقة مست مختلف البنى الاجتماعية، بفعل العولمة الاقتصادية والثقافية، والتطور التكنولوجي المتسارع، والتحول الرقمي، وتوسع المدن وتغير أنماط العيش. وقد أدت هذه التحولات إلى إعادة تشكيل المجال الاجتماعي والثقافي الذي تتحرك داخله الأسرة، بحيث أصبحت عملية إنتاج الهوية الثقافية تتم داخل فضاء متعدد المرجعيات، تتداخل فيه الأسرة مع مؤسسات أخرى فاعلة مثل المدرسة، ووسائل الإعلام، وشبكات التواصل الاجتماعي (Castells, 2010).

كما أن العولمة الثقافية ساهمت في تفكيك بعض الأطر التقليدية للثقافة المحلية، من خلال إدخال أنماط ثقافية جديدة وعابرة للحدود، ما أدى إلى بروز حالة من التعدد القيمي داخل المجتمع الواحد. هذا التعدد انعكس بشكل مباشر على الأسرة، التي أصبحت تواجه تحديًا متزايدًا في الحفاظ على تماسك المرجعية الثقافية التي تنقلها إلى أبنائها، في ظل تنافس مصادر التنشئة وتعددتها وتداخل تأثيراتها (Sassen, 2012).

وفي السياق نفسه، أدى التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث إلى إعادة تعريف دور الأسرة داخل النسق الاجتماعي، حيث تراجعت بعض وظائفها التقليدية، خاصة تلك المرتبطة بالضبط

الاجتماعي الصارم، لصالح مؤسسات حديثة أكثر تخصصاً وتنظيماً. كما أن توسع التعليم، وظهور الإعلام الرقمي، وتغير أنماط العمل والحياة، قد ساهم في إعادة توزيع أدوار التنشئة الاجتماعية بين الأسرة ومؤسسات أخرى، مما جعل عملية إنتاج الهوية أكثر تعقيداً وتشابكاً (Weber, 1978).

وانطلاقاً من هذه التحولات البنيوية، تبرز إشكالية أساسية تتمثل في مدى قدرة الأسرة المعاصرة على الاستمرار في أداء وظيفتها المتعلقة بإعادة إنتاج الهوية الثقافية، في ظل تعدد مصادر التأثير وتنافسها داخل الفضاء الاجتماعي الحديث. كما تطرح هذه الإشكالية سؤالاً جوهرياً حول طبيعة الهوية الثقافية ذاتها، وهل ما تزال تُبنى على أساس الاستمرارية والتماسك، أم أنها أصبحت هوية مرنة، متعددة، وقابلة لإعادة التشكيل المستمر داخل سياقات اجتماعية متغيرة (Castells, 2010).

وبناءً على ذلك، فإن دراسة الأسرة كفضاء لإعادة إنتاج الهوية الثقافية في ظل التحولات المعاصرة تتطلب مقاربة سوسيولوجية تحليلية شاملة، تأخذ بعين الاعتبار التفاعل المعقد بين البنية الأسرية، والتحولات المجتمعية، والتغيرات الثقافية والتكنولوجية، من أجل فهم الكيفية التي يعاد بها إنتاج الهوية داخل مجتمع يتسم بالسيولة والتعدد وإعادة التشكل المستمر.

2. الأسرة كحاضنة أولى للهوية الثقافية:

تُعد الأسرة المؤسسة الاجتماعية الأولى التي يتشكل داخلها وعي الفرد بذاته وبالعالم المحيط به، وهي بذلك تمثل الفضاء الأول لإنتاج الهوية الثقافية وإعادة إنتاجها عبر الأجيال. فالهوية الثقافية لا تُكتسب بشكل فجائي أو فردي، بل تتكون تدريجيًا من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية المبكرة التي تقوم على التفاعل اليومي بين الطفل وذويه، حيث يتم نقل اللغة والقيم والمعايير وأنماط السلوك بصورة مباشرة وغير مباشرة (Berger & Luckmann, 1966).

في هذا السياق، تلعب الأسرة دورًا حاسمًا في تشكيل "الهوية الأولية" للفرد، باعتبارها الإطار المرجعي الذي يُبنى عليه لاحقًا كل أشكال الانتماء الأخرى داخل المدرسة أو الجماعة أو المجتمع الأوسع. فخلال السنوات الأولى من الحياة، يكون الطفل في حالة اعتماد شبه كلي على الأسرة، مما يجعلها المصدر الأساسي لتعلم اللغة، وفهم الرموز الاجتماعية، واستيعاب القيم الأساسية مثل الطاعة، الاحترام، التضامن، والانتماء (Durkheim, 1997).

ومن منظور سوسيولوجي ثقافي، لا يقتصر دور الأسرة على نقل المعارف السطحية، بل يمتد إلى ما يُعرف بـ"التطبيع الثقافي"، أي غرس أنماط التفكير والإدراك والتقييم التي تشكل لاحقًا البنية الذهنية للفرد. فكما يشير بورديو، فإن الأسرة تُعد الفضاء الأول لاكتساب "رأس المال الثقافي"، الذي يتجسد في اللغة، وأنماط الذوق، وأساليب التفاعل الاجتماعي، وهو ما يحدد موقع الفرد داخل البنية الاجتماعية لاحقًا (Bourdieu, 1990).

كما أن الأسرة تعمل كوسيط رمزي بين الفرد والثقافة المجتمعية، حيث تقوم بترجمة القيم الكبرى للمجتمع إلى ممارسات يومية بسيطة قابلة للتعليم. فالقيم مثل الانتماء والهوية الوطنية أو الدينية لا تُنقل في شكلها المجرد، بل تُمارس عبر العادات اليومية، مثل أساليب الأكل، الاحتفال بالمناسبات، أو طرق التواصل داخل البيت، مما يجعل عملية التكوين الثقافي عملية غير واعية ولكنها عميقة الأثر (Giddens, 2006).

ومن جهة أخرى، تساهم الأسرة في تحديد الإطار الأولي للانتماء الاجتماعي، حيث يتعلم الفرد أن ينتمي إلى جماعة محددة تحمل لغة وثقافة وتاريخاً مشتركاً. هذا الانتماء الأولي يشكل الأساس الذي تُبنى عليه باقي الانتماءات اللاحقة، سواء داخل المدرسة أو سوق العمل أو الفضاء الرقمي. وبالتالي، فإن الأسرة لا تنتج فقط هوية فردية، بل تساهم في إدماج الفرد داخل النسق الاجتماعي الأوسع (Castells, 2010).

غير أن هذا الدور التقليدي للأسرة يواجه في السياق المعاصر تحديات متزايدة، نتيجة التحولات المرتبطة بالعمولة، وتوسع وسائل الإعلام، وتغلغل التكنولوجيا الرقمية داخل الحياة اليومية. فقد أصبحت مصادر تشكيل الهوية أكثر تعددًا، مما قلل نسبيًا من احتكار الأسرة لعملية التنشئة الثقافية، لكنها لم تلغ دورها الأساسي في التأسيس الأولي للهوية (Sassen, 2012).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الأسرة تظل الحاضنة الأولى للهوية الثقافية، ليس فقط لأنها تنقل الثقافة، بل لأنها تشكل الإطار الرمزي الأول الذي يُبنى داخله معنى الانتماء والهوية، مما يجعلها مؤسسة

مركزية في فهم استمرارية الثقافة داخل المجتمع وإعادة إنتاجها عبر الزمن.

وفي ظل ما يشهده العالم المعاصر من التغيرات المتسارعة في مجال الاتصالات وثورة المعلومات مما جعل العالم قرية صغيرة لها تأثيرها على أي مجتمع بكافة مؤسساته وقطاعاته. فالانفجار المعرفي ولد الكثير من الوسائل التقنية ومواقع التواصل الاجتماعي التي أصبح فيها الفرد يتفاعل ويتواصل فيها مع غيره من أبناء جنسه على اختلاف الزمان والمكان.

وعليه شهد العالم حالة اتصال وتواصل لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية؛ إذ أصبحت فيه قنوات الاتصال مفتوحة بين شعوب العالم كافة ولم تعد الحدود تقف حاجزا أمام التدفق الهائل للمعلومات والأفكار والقيم والأذواق التي تجوب أنحاء العالم بحرية تامة، الأمر الذي جعل دول العالم تضع الخطط والإستراتيجيات للتعامل مع هذه الظاهرة ومواكبة التطورات الهائلة والسريعة التي يعيشها سكان هذه المعمورة. واستجابة لهذه التطورات أخذت حكومات الدول على عاتقها تأمين حياة كريمة لأفرادها، وتقدم وإزدهار لمؤسساتها، فقد استغلت هذه التطورات والمستجدات لزيادة التواصل بين الشعوب والإطلاع على ثقافات الأمم المتعددة وحضاراتها، والاستفادة من إيجابياتها والوقوف على حقيقتها لخدمة قضاياها ومصالحها (الخوالدة والزبون، 2008). ونظرا لانتشار هذه المواقع وكثرة استخدامها من قبل الملايين من الأشخاص ولدت الكثير من الآثار الإيجابية والسلبية وخاصة تأثيرها على

الأسرة مما رتب أعباءً جديدة عليها، إضافة إلى التحديات التي أصابت بنيتها ووظائفها الواجب منها الالتفات لها والأخذ بها. ويظهر هنا دور الأسرة كأولى المؤسسات الاجتماعية المسؤولة عن تنشئة الأفراد وتربيتهم منذ الصغر على القيم والأخلاق والانتماء الوطني، ثم يلعب دور المدرسة وباقي المؤسسات الاجتماعية مثل المساجد والكنائس والجامعات والنوادي ومراكز الشباب والأحزاب السياسية، ووسائل الإعلام المختلفة في التوعية المجتمعية خاصة للمراهقين والشباب بمخاطر استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وكيفية مواجهتها، إلا أن الأمر يتطلب وضع إستراتيجية شاملة تشرف عليها الجهات المعنية في الدولة وتركز على الأبعاد الأخلاقية والدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية والأمنية (توفيق، 2018). ونتيجة لما تتأثر به الأسرة من عامل ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات واتساع مجال التواصل الاجتماعي والتفاعل بين أفراد المجتمعات، فإن ذلك يفرض على الأسرة تحدياً جديداً يظهر من خلال دورها في التأثير على الأبناء بالتوجيه والإرشاد والتذكير بقيم المجتمع والالتزام بمعايير الأساسية في طريقة التفكير والسلوك والعمل والتي تمثل انعكاساً لمستوى الأسرة الاجتماعي والطريقة المتبعة في التربية والتنشئة؛ مما يشكل عبئاً جديداً على الأسرة اليوم بأن تتعرف على وسائل التقنيات الحديثة مما في ذلك وظائفها وخدماتها ومميزاتها ومخاطرها وأثارها المختلفة على أبنائهم وعلاقتهم بأسرهم ومجتمعاتهم مما يضيف مهمة جديدة إلى مهامها المعهودة إليها (مطالقة والعمرى،

(2018).

وتتأثر الأسرة بمجموعة من العوامل التي تشكل تحديات ومعوقات مختلفة عليها، والتي تعيق عملية متابعة الأفراد وضبطهم وتربيتهم بحسب ما يتناسب مع قيم الأسرة ومبادئها. ومن أهم تلك العوامل المؤثرة على الأسرة التغيرات التي تطرأ على المجتمعات الحديثة والمعاصرة في ظل الثورة المعلوماتية الحديثة؛ إذ تظهر في كل يوم على مسرح الحياة معطيات جديدة تحتاج إلى خبرات وأفكار ومهارات وآليات عصرية جديدة تجعل الأسرة أمام تحديات من الصعب الوقوف أمامها أو تجاهلها دون مواجهتها، إذ لا تستطيع الأسرة أن تنغلق أمامها أو تستسلم لها لا سيما أن الأسرة في العصر الحالي تميل إلى استخدام ثمار الثورة التقنية والمعلوماتية الهائلة من وسائل اتصال ومعلومات متنوعة، مثل برامج الحاسبات ومواقع الإنترنت الدولية ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة وغير ذلك من تقنيات سمعية وبصرية. ومن المتوقع أن تشغل هذه المستجدات حيزاً كبيراً من اهتمامات أفراد الأسرة وتؤثر فيها سلباً أم إيجاباً (مطالقة والعمرى، 2018).

ومن هنا يبرز دور الأسرة كبنية أساسية للمجتمع ومحور رئيسي لتكوين الهوية والقيم لدى الأفراد. وفي ظل التطور التكنولوجي السريع وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت هناك حاجة ملحة إلى فهم أعمق لدور الأسرة في ترسيخ الهوية الثقافية وتقديم المعرفة وترسيخ القيم الاجتماعية والأخلاقية وتكوين مواطنين صالحين يخدمون مجتمعهم ويحافظون على هويته الثقافية والاجتماعية.

3. التنشئة الاجتماعية الأسرية وآليات نقل الثقافة:

تُعد التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة الآلية الأساسية التي يتم من خلالها نقل الثقافة من جيل إلى آخر، حيث تمثل الأسرة الفضاء الأول الذي يتعلم فيه الفرد كيف يفكر ويتصرف ويتفاعل مع الآخرين. فالتنشئة الاجتماعية لا تقتصر على تعليم السلوكيات الظاهرة، بل تشمل أيضًا غرس القيم والمعايير وأنماط الإدراك التي تشكل البنية العميقة للشخصية الاجتماعية (Giddens, 2006).

تبدأ هذه العملية منذ السنوات الأولى من حياة الطفل، حيث تعتمد الأسرة على أساليب متعددة في نقل الثقافة، أبرزها التقليد، التلقين، التعزيز، والمراقبة غير المباشرة. فمن خلال التفاعل اليومي داخل البيت، يكتسب الطفل اللغة الأم، وأنماط التعبير العاطفي، وأساليب التواصل الاجتماعي، وهي عناصر تشكل الأساس الأولي للهوية الثقافية (Berger & Luckmann, 1966).

ومن الناحية السوسيولوجية، تُعد الأسرة فاعلاً تربوياً غير رسمي، لكنها ذات تأثير عميق يفوق أحياناً تأثير المؤسسات الرسمية مثل المدرسة خاصة في المراحل المبكرة من النمو. فالقيم التي يتم اكتسابها داخل الأسرة غالباً ما تكون أكثر رسوخاً واستمرارية، لأنها ترتبط بالتجربة العاطفية المباشرة وبالعلاقات القرابة والثقة (Durkheim, 1997).

كما تلعب الأسرة دوراً مهماً في تشكيل "الضبط الاجتماعي الأولي"، حيث يتم تعليم الطفل الفرق بين السلوك المقبول وغير المقبول داخل المجتمع. هذا الضبط لا يتم فقط عبر القواعد الصريحة، بل أيضاً عبر

الإشارات الرمزية ونبرة الخطاب وأساليب المكافأة والعقاب، مما يجعل عملية التنشئة عملية مركبة تجمع بين البعد النفسي والاجتماعي والثقافي (Bourdieu, 1990).

وتساهم الأسرة أيضًا في نقل ما يمكن تسميته بـ"الذاكرة الثقافية"، أي مجموع التقاليد والرموز والمعاني التي تعبر عن هوية المجتمع واستمراره التاريخية. فالممارسات اليومية مثل الاحتفال بالمناسبات الدينية، احترام كبار السن، أو الحفاظ على بعض العادات الغذائية، تمثل وسائل غير مباشرة لنقل الثقافة وإعادة إنتاجها (Castells, 2010).

غير أن هذه العملية لم تعد أحادية الاتجاه في السياق المعاصر، حيث أصبحت الأسرة تتفاعل مع مصادر أخرى للتنشئة مثل المدرسة، وسائل الإعلام، والفضاء الرقمي. هذا التعدد في مصادر التنشئة أدى إلى إعادة تشكيل دور الأسرة، بحيث لم تعد المصدر الوحيد للثقافة، لكنها ما تزال تلعب دورًا تأسيسيًا في بناء الإطار القيمي الأولي للفرد (Sassen, 2012).

كما أن اختلاف أنماط الأسر في المجتمعات الحديثة (الأسرة النووية، الممتدة، أو المعاد تشكيلها) يؤثر بشكل مباشر على طبيعة التنشئة الاجتماعية، حيث تختلف درجة التماسك، ونوعية التفاعل، ومستوى نقل القيم من نموذج أسري إلى آخر. وهذا ما يعكس تنوعًا في أنماط إنتاج الهوية الثقافية داخل المجتمع الواحد (Giddens, 2006).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن التنشئة الاجتماعية الأسرية تمثل الآلية الجوهرية لنقل الثقافة وإعادة إنتاجها، حيث تُحول القيم والمعايير من

مستوى مجرد إلى ممارسة يومية متجسدة داخل حياة الفرد، مما يجعل الأسرة فاعلاً مركزياً في استمرارية النظام الثقافي للمجتمع.

4. اللغة داخل الأسرة بوصفها وعاءاً للهوية الثقافية:

تُعد اللغة أحد أهم العناصر التي يتم عبرها بناء الهوية الثقافية داخل الأسرة، إذ لا تقتصر وظيفتها على كونها وسيلة للتواصل، بل تتجاوز ذلك لتصبح وعاءاً رمزياً يحمل القيم والمعاني والتصورات التي تشكل رؤية الفرد للعالم. فالطفل لا يتعلم اللغة كقواعد مجردة، بل يكتسبها داخل سياقات اجتماعية وعاطفية داخل الأسرة، مما يجعل اللغة مرتبطة منذ البداية بالانتماء والهوية (Giddens, 2006).

في هذا الإطار، تلعب الأسرة الدور الأساسي في إرساء اللغة الأم، باعتبارها أول نظام رمزي يواجهه الطفل. ومن خلال التفاعل اليومي مع الوالدين والأقارب، يتعلم الطفل المفردات الأولى، وأساليب التعبير، ونبرات الخطاب، وهي عناصر تشكل لاحقاً جزءاً من هويته الثقافية والاجتماعية. وتُظهر الدراسات السوسولوجية أن اكتساب اللغة داخل الأسرة يحدد بدرجة كبيرة القدرة على الاندماج الاجتماعي لاحقاً داخل المدرسة والمجتمع (Berger & Luckmann, 1966).

ومن منظور سوسولوجي ثقافي، لا تُعد اللغة مجرد أداة تقنية، بل هي بنية فكرية تُشكل طريقة التفكير نفسها. فكما يشير بورديو، فإن اللغة داخل الأسرة ترتبط بما يسمى بـ"رأس المال اللغوي"، حيث تعكس أنماط الكلام المستخدمة داخل البيت مستوى الانتماء الاجتماعي والثقافي،

وتؤثر في فرص النجاح الاجتماعي للفرد لاحقًا (Bourdieu, 1990). وبالتالي فإن الأسرة لا تنقل اللغة فقط، بل تنقل معها أيضًا أساليب استخدامها الاجتماعي.

كما أن اللغة داخل الأسرة تُعد وسيلة لنقل القيم والمعايير بشكل غير مباشر. فعبارات التوجيه، والتشجيع، والنهي، التي يستخدمها الآباء، تحمل في طياتها مضامين ثقافية تعكس تصور المجتمع للسلطة والطاعة، والاحترام، والعلاقات بين الأجيال. وبهذا المعنى، تصبح اللغة وسيطًا مركزيًا في عملية التنشئة الاجتماعية (Durkheim, 1997).

ومن جهة أخرى، تؤدي اللغة دورًا مهمًا في بناء الانتماء الثقافي، حيث يشعر الفرد بالانتماء إلى جماعة معينة من خلال اللغة التي يتحدث بها داخل أسرته. فاللغة هنا ليست فقط أداة للتواصل، بل علامة هوية تميز الجماعة عن غيرها، وتربط الفرد بجذوره الثقافية والتاريخية. وهذا ما يجعل اللغة أحد أهم عناصر استمرارية الثقافة عبر الزمن (Castells, 2010).

غير أن التحولات المعاصرة، خاصة العولمة والانفتاح الإعلامي والرقمي أدت إلى ظهور لغات هجينة داخل بعض الأسر، حيث تتداخل اللغة الأم مع لغات أجنبية أو أنماط خطاب رقمية جديدة. هذا التحول يعكس تغيرًا في بنية الهوية الثقافية نفسها، حيث أصبحت أكثر مرونة وأقل تجانسًا مقارنة بالسابق (Sassen, 2012).

كما أن الفوارق اللغوية داخل الأسر يمكن أن تؤدي إلى تفاوتات في الفرص الاجتماعية، خاصة عندما يتعلق الأمر بإتقان اللغات الأجنبية أو

المهارات التواصلية الحديثة، مما يعيد إنتاج التفاوت الاجتماعي بشكل غير مباشر عبر اللغة (Giddens, 2006).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن اللغة داخل الأسرة تمثل أكثر من مجرد وسيلة تواصل، فهي وعاء للهوية الثقافية ووسيط مركزي في نقل القيم والمعاني، كما أنها تشكل البنية الرمزية التي يُبنى عليها إدراك الفرد لذاته ولمجتمعه، مما يجعلها عنصراً أساسياً في فهم عملية إعادة إنتاج الثقافة داخل المجتمع.

5. القيم الأسرية وإعادة إنتاج البنية الثقافية:

تُعد القيم الأسرية من أهم الآليات التي تساهم في إعادة إنتاج البنية الثقافية داخل المجتمع، حيث تشكل الإطار المرجعي الذي يوجه سلوك الأفراد ويحدد أنماط تفكيرهم وتفاعلاتهم مع العالم الاجتماعي. فالأسرة لا تقتصر على كونها وحدة معيشية، بل تمثل فضاءً قيمياً يُغرس فيه معنى الخير والشر، المقبول والمرفوض، والواجب والممنوع، منذ المراحل الأولى للتنشئة الاجتماعية (Durkheim, 1997).

في هذا السياق، تعمل الأسرة على نقل منظومة القيم الأساسية مثل الاحترام، التضامن، المسؤولية، الطاعة، والانتماء، وهي قيم تُكتسب بشكل تدريجي من خلال الممارسة اليومية والتفاعل العاطفي داخل البيت. هذه القيم لا تُقدم في شكل نظري مجرد، بل تُجسد في سلوك الوالدين وطريقة تعاملهم مع بعضهم البعض ومع الأبناء، مما يجعل عملية التعلم القيمي عملية مدمجة في الحياة اليومية (Giddens, 2006).

ومن منظور سوسيولوجي ثقافي، تُعد القيم الأسرية جزءًا من ما يسميه بورديو بـ"الهبيتوس" (Habitus)، أي البنية الداخلية التي تشكل إدراك الفرد للعالم وتوجه ممارساته دون وعي مباشر منه. فالأسرة تزرع في الفرد أنماطًا مستقرة من التوقعات والسلوكيات، تجعل تصرفاته لاحقًا تبدو طبيعية وبديهية داخل المجتمع (Bourdieu, 1990).

كما أن القيم الأسرية تؤدي وظيفة أساسية في تحقيق التماسك الاجتماعي، حيث تساهم في دمج الفرد داخل النسق الثقافي العام للمجتمع. فكلما كانت القيم الأسرية متماسكة ومتجانسة مع القيم المجتمعية، زادت قدرة الفرد على الاندماج الاجتماعي، والعكس صحيح في حالات التناقض القيمي (Castells, 2010).

وتلعب الأسرة أيضًا دورًا مهمًا في تشكيل الوعي الأخلاقي للفرد، حيث يتم داخلها بناء الإحساس بالمسؤولية والالتزام تجاه الآخرين. هذا الوعي لا ينشأ بشكل تلقائي، بل يتم عبر التفاعل اليومي الذي يربط بين السلوك الفردي والنتائج الاجتماعية، مما يعزز إدراك الفرد لحدود أفعاله داخل المجتمع (Durkheim, 1997).

غير أن التحولات الاجتماعية المعاصرة أدت إلى إعادة تشكيل منظومة القيم الأسرية، حيث أصبحت هذه القيم أكثر عرضة للتأثر بالوسائط الخارجية مثل الإعلام، المدرسة، والفضاء الرقمي. هذا التعدد في مصادر القيم أدى إلى بروز نوع من التداخل القيمي داخل الأسرة، حيث تتعايش القيم التقليدية مع القيم الحديثة في بعض الحالات بشكل متكامل، وفي حالات أخرى بشكل متناقض (Sassen, 2012).

كما أن اختلاف البنى الأسرية الحديثة (مثل الأسرة النووية أو الأسر المعاد تشكيلها) أدى إلى تنوع في أنماط التنشئة القيمية، مما يعكس تنوعاً داخل البنية الثقافية نفسها للمجتمع. هذا التنوع لا يعني انهيار القيم، بل يعكس تحولها نحو مزيد من المرونة والتعدد (Giddens, 2006).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن القيم الأسرية تمثل حجر الأساس في إعادة إنتاج البنية الثقافية، حيث تقوم الأسرة بتحويل القيم المجتمعية الكبرى إلى ممارسات يومية معاشة، مما يجعلها فاعلاً مركزياً في استمرارية الثقافة داخل المجتمع وإعادة تشكيلها عبر الزمن.

6. الأسرة والتحولت المعاصرة وإعادة تشكيل الهوية الثقافية:

تشهد الأسرة في السياقات المعاصرة تحولات عميقة نتيجة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية المتسارعة، مما جعل دورها في إنتاج الهوية الثقافية وإعادة إنتاجها أكثر تعقيداً من السابق. فلم تعد الأسرة وحدة مستقلة ومغلقة تؤدي وظائف التنشئة بمعزل عن باقي المؤسسات، بل أصبحت فاعلاً اجتماعياً يتفاعل باستمرار مع المدرسة ووسائل الإعلام والفضاء الرقمي، مما أعاد تشكيل ديناميات إنتاج الهوية الثقافية داخلها (Giddens, 2006).

في هذا السياق، أدت العولمة وتوسع وسائل الاتصال الحديثة إلى تعدد مصادر التأثير الثقافي على الفرد داخل الأسرة، حيث لم تعد القيم والمعايير تُنقل فقط من الآباء إلى الأبناء، بل أصبحت تتأثر بشكل كبير

بالمحتوى الإعلامي والرقمي والثقافات العابرة للحدود. هذا التعدد أدى إلى ظهور ما يمكن تسميته بـ "تعدد المرجعيات الثقافية"، حيث يعيش الفرد داخل شبكة من التأثيرات المتنوعة والمتداخلة (Castells, 2010).

ومن منظور سوسيولوجي، يشير هذا التحول إلى انتقال من النموذج التقليدي للأسرة باعتبارها مؤسسة تنشئة مركزية، إلى نموذج أكثر انفتاحًا وتفاعلية، حيث تصبح الأسرة جزءًا من منظومة أوسع لإنتاج الهوية الثقافية. هذا الانفتاح لا يعني تراجع دور الأسرة، بل إعادة تعريفه ضمن سياق اجتماعي أكثر تعقيدًا (Sassen, 2012).

كما أن التحولات في بنية الأسرة نفسها، مثل تزايد الأسر النووية، وتأخر سن الزواج، وتغير أدوار الجنسين داخل الأسرة، ساهمت في إعادة توزيع أدوار التنشئة الثقافية بين أفراد الأسرة. فقد لم يعد الدور التربوي مقتصرًا على الوالدين فقط، بل أصبح أكثر تشاركية بين مختلف أفراد الأسرة، وأحيانًا بين الأسرة ومؤسسات خارجية (Giddens, 2006).

ومن جهة أخرى، أدت التكنولوجيا الرقمية إلى ظهور أنماط جديدة من التفاعل داخل الأسرة، حيث أصبح كل فرد مرتبطًا بعالمه الرقمي الخاص، مما أثر على طبيعة التواصل الأسري المباشر. هذا الوضع خلق نوعًا من التوتر بين الثقافة الأسرية التقليدية القائمة على التفاعل المباشر، والثقافة الرقمية القائمة على الوساطة التقنية (Castells, 2010).

كما أن هذا التحول ساهم في إعادة تشكيل الهوية الثقافية للفرد بشكل أكثر مرونة وتعددًا، حيث لم تعد الهوية ثابتة أو أحادية المصدر، بل

أصبحت قابلة للتغير والتكيف وفق السياقات المختلفة. وهذا ما يعكس طبيعة المجتمع المعاصر القائم على السيولة الثقافية والتنوع الرمزي (Sassen, 2012).

ومع ذلك، رغم هذه التحولات، تظل الأسرة تحتفظ بدور أساسي في بناء الإطار القيمي الأولي للفرد، حيث تمثل المرجعية الأولى التي يعود إليها في تفسير العالم الاجتماعي، حتى وإن تعددت لاحقاً مصادر التأثير الثقافي. وهذا يبرز الطابع الاستمراري لوظيفة الأسرة في إنتاج الهوية الثقافية رغم تغير أشكالها (Durkheim, 1997).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن التحولات المعاصرة لم تلغ دور الأسرة في تشكيل الهوية الثقافية، بل أعادت صياغته ضمن سياق متعدد المستويات، حيث تتداخل الأسرة مع مؤسسات أخرى في إنتاج هوية ثقافية أكثر تعقيداً ومرونة، تعكس طبيعة المجتمع الحديث القائم على التغير المستمر.

7. التحولات الرقمية وأثرها في الهوية الثقافية داخل الأسرة:

أحدثت التحولات الرقمية المعاصرة تغييرات جوهرية في بنية العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة، وأعادت تشكيل طرق إنتاج الهوية الثقافية ونقلها بين الأجيال. فقد أصبح الفضاء الرقمي اليوم جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للأفراد، بما في ذلك داخل المجال الأسري، مما جعل التنشئة الثقافية تتم في سياق مزدوج يجمع بين التفاعل المباشر والتفاعل الافتراضي (Castells, 2010).

في هذا الإطار، لم تعد الأسرة المصدر الوحيد للمعلومة والقيم، بل أصبحت تتقاسم هذا الدور مع وسائل الإعلام الرقمية، ومنصات التواصل الاجتماعي، والتطبيقات الذكية. هذا التحول أدى إلى إعادة توزيع سلطة التأثير الثقافي داخل الأسرة، حيث أصبح الأطفال والمراهقون يتعرضون لمصادر ثقافية متعددة قد تتجاوز أحياناً تأثير الوالدين التقليدي (Sassen, 2012).

ومن الناحية السوسيولوجية، يشير هذا الوضع إلى انتقال في طبيعة التنشئة الاجتماعية من نموذج خطي يعتمد على النقل المباشر من الجيل الأكبر إلى الجيل الأصغر، إلى نموذج شبكي متعدد الاتجاهات، حيث تتداخل مصادر التأثير الثقافي وتنافس فيما بينها. هذا ما يعكس تحولاً عميقاً في بنية إنتاج الهوية الثقافية داخل المجتمع (Giddens, 2006).

كما أن الاستخدام المكثف للوسائط الرقمية داخل الأسرة أدى إلى إعادة تشكيل أنماط التفاعل الأسري نفسه، حيث أصبح التواصل بين أفراد الأسرة في بعض الحالات يتم عبر الوسائط الإلكترونية حتى داخل نفس المنزل. هذا الوضع أدى إلى ما يمكن تسميته بـ"التقارب المكاني مقابل التباعد التفاعلي"، حيث تتواجد الأسرة في نفس الفضاء الفيزيقي ولكن بتفاعل اجتماعي أقل عمقاً (Castells, 2010).

ومن جهة أخرى، ساهم الفضاء الرقمي في توسيع دوائر الانتماء الثقافي للفرد، بحيث لم يعد الانتماء مقتصرًا على الأسرة أو المجتمع المحلي، بل أصبح يمتد إلى مجتمعات افتراضية عابرة للحدود الجغرافية والثقافية.

هذا التوسع أدى إلى إعادة تشكيل مفهوم الهوية الثقافية لتصبح أكثر انفتاحًا وتعددًا (Sassen, 2012).

كما أن هذا التحول الرقمي أفرز نوعًا من التوتر داخل الأسرة بين القيم التقليدية التي تسعى إلى الاستمرارية والاستقرار، والقيم الرقمية التي تتميز بالسرعة والتغير المستمر والانفتاح على ثقافات متعددة. هذا التوتر يعكس حالة من إعادة التفاوض المستمر حول الهوية داخل الفضاء الأسري (Giddens, 2006).

ومن زاوية أخرى، فإن الخوارزميات الرقمية وأنظمة التوصية أصبحت تلعب دورًا غير مباشر في تشكيل الوعي الثقافي للأفراد، من خلال التحكم في المحتوى الذي يتعرضون له يوميًا، مما يجعل عملية تشكيل الهوية الثقافية عملية غير مباشرة ومعقدة تتداخل فيها البنية التقنية مع البنية الاجتماعية (Castells, 2010).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن التحولات الرقمية لم تُلغ دور الأسرة في تشكيل الهوية الثقافية، لكنها أعادت صياغته ضمن سياق جديد يتسم بتعدد مصادر التأثير، وتداخل الفضاءات الواقعية والافتراضية، مما يجعل الهوية الثقافية اليوم أكثر ديناميكية وتعقيدًا داخل النسق الأسري المعاصر.

8. الأسرة وتعدد مصادر التنشئة الثقافية في المجتمع المعاصر

أدى التحول الاجتماعي المعاصر إلى تراجع احتكار الأسرة لوظيفة التنشئة الثقافية، لصالح تعدد متزايد في مصادر إنتاج القيم والمعايير والرموز الاجتماعية. فلم تعد الأسرة المؤسسة الوحيدة التي تشكل هوية

الفرد، بل أصبحت جزءاً من منظومة أوسع تشمل المدرسة، ووسائل الإعلام، والمؤسسات الدينية، والفضاء الرقمي، مما جعل عملية بناء الهوية الثقافية أكثر تعقيداً وتداخلاً (Giddens, 2006).

في هذا السياق، يبرز مفهوم "تعدد الوكلاء الاجتماعيين" للتنشئة، حيث يتلقى الفرد تأثيرات متباينة ومتقاطعة من مؤسسات مختلفة قد تحمل أحياناً رؤى قيمية متكاملة، وأحياناً أخرى متناقضة. هذا الوضع يؤدي إلى إعادة تشكيل الهوية الثقافية باعتبارها بناءً ديناميكياً وليس بنية ثابتة، تتغير وفق السياقات الاجتماعية المختلفة (Castells, 2010).

ومن منظور سوسيولوجي، يشير هذا التعدد إلى انتقال المجتمع من نموذج التنشئة التقليدي القائم على مركزية الأسرة، إلى نموذج شبكي موزع، حيث تتقاسم عدة مؤسسات عملية إنتاج المعنى الاجتماعي. هذا التحول لا يعني إضعاف دور الأسرة، بل إعادة تحديده داخل منظومة أوسع من الفاعلين الاجتماعيين (Sassen, 2012).

كما أن المدرسة، باعتبارها مؤسسة رسمية للتنشئة، أصبحت تلعب دوراً مكماً لدور الأسرة، من خلال تقديم معارف منظمة وقيم معيارية تهدف إلى إدماج الفرد داخل النسق الاجتماعي العام. غير أن هذا الدور قد يتقاطع أحياناً مع القيم الأسرية، مما يخلق حالات من التوتر أو التناقض القيمي لدى الفرد (Durkheim, 1997).

ومن جهة أخرى، أصبحت وسائل الإعلام، وخاصة الرقمية منها، فاعلاً مركزياً في تشكيل الثقافة اليومية، حيث تقدم نماذج سلوكية وقيمية وأنماط حياة تؤثر بشكل مباشر في تصورات الأفراد عن ذواتهم

ومجتمعهم. هذا التأثير الإعلامي غالبًا ما يكون سريعًا وعابرًا للحدود الثقافية، مما يزيد من تعقيد عملية التنشئة (Castells, 2010). كما أن الفضاء الرقمي أضاف بعدًا جديدًا لهذه المنظومة، حيث أصبح الفرد يعيش داخل شبكة من التفاعلات الافتراضية التي تؤثر في هويته الثقافية بشكل مستمر. هذا الفضاء لا يخضع للرقابة الأسرية المباشرة، مما يضعف جزئيًا قدرة الأسرة على التحكم الكامل في عملية التنشئة (Sassen, 2012).

ومن ناحية أخرى، يساهم هذا التعدد في خلق هوية ثقافية مركبة لدى الفرد، تتشكل من تداخل تأثيرات الأسرة والمدرسة والإعلام والفضاء الرقمي، مما يجعل الهوية أقل تجانسًا وأكثر مرونة وتغيرًا. هذا التحول يعكس طبيعة المجتمع المعاصر القائم على السيولة الثقافية وتعدد المرجعيات (Giddens, 2006).

وبناءً على ذلك، يمكن القول إن تعدد مصادر التنشئة الثقافية لا يلغي دور الأسرة، بل يعيد تحديده داخل منظومة اجتماعية أوسع، حيث تصبح الأسرة فاعلاً مركزيًا في مرحلة التأسيس الأولي للهوية، لكنها تشارك لاحقًا في إنتاجها مع مؤسسات أخرى، مما يعكس تعقيد عملية بناء الهوية الثقافية في المجتمع المعاصر.

9. الأسرة وإعادة إنتاج التفاوت الثقافي داخل المجتمع:

لا تقتصر وظيفة الأسرة على نقل الهوية الثقافية بشكل متساوٍ بين الأفراد، بل تسهم أيضًا في إعادة إنتاج أشكال من التفاوت الثقافي داخل المجتمع، وذلك من خلال اختلاف مستويات الموارد الثقافية والرمزية

المتاحة داخل كل أسرة. فالثقافة ليست موزعة بشكل متكافئ بين الأسر، بل تتفاوت وفق الخلفيات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية، مما ينعكس مباشرة على فرص الأبناء في اكتساب رأس المال الثقافي (Bourdieu, 1990).

في هذا الإطار، يشير بيير بورديو إلى أن الأسرة تمثل المؤسسة الأولى التي يتم من خلالها نقل "رأس المال الثقافي"، والذي يشمل اللغة، وأنماط التفكير، والذوق، وأساليب التفاعل الاجتماعي. هذا الرأس مال لا يُكتسب بشكل متساوٍ بين جميع الأفراد، بل يعتمد على موقع الأسرة داخل البنية الاجتماعية، مما يؤدي إلى إعادة إنتاج اللامساواة عبر الأجيال (Bourdieu, 1990).

ومن منظور سوسيولوجي، يتجلى هذا التفاوت في الفروقات بين الأسر من حيث مستوى التعليم، ونمط اللغة المستخدمة داخل البيت، ومدى الانفتاح على الثقافة المعرفية. فالأسر التي تمتلك موارد ثقافية عالية توفر لأبنائها بيئة أكثر دعمًا للنجاح المدرسي والاجتماعي، في حين تعاني الأسر ذات الموارد المحدودة من صعوبات في نقل هذا النوع من الرأسمال (Giddens, 2006).

كما أن هذا التفاوت الثقافي داخل الأسرة ينعكس على فرص الاندماج الاجتماعي لاحقًا، حيث يصبح الأفراد الذين نشؤوا في بيئات ثقافية غنية أكثر قدرة على التكيف مع متطلبات المؤسسات الحديثة مثل المدرسة وسوق العمل، مقارنة بغيرهم. وهذا ما يجعل الأسرة عاملاً غير مباشر في إعادة إنتاج البنية الطبقية للمجتمع (Castells, 2010).

ومن جهة أخرى، يساهم اختلاف أنماط التنشئة الأسرية في إنتاج تفاوتات في أنماط التفكير والسلوك، حيث تختلف الأسر في درجة اهتمامها بالتعليم، والثقافة، والانفتاح على العالم الخارجي. هذا التباين يؤدي إلى إنتاج هويات ثقافية غير متكافئة من حيث القدرة على الاندماج والتأثير داخل المجتمع (Sassen, 2012).

كما أن التحولات المعاصرة لم تلغ هذا التفاوت، بل أعادت تشكيله داخل الفضاء الرقمي، حيث أصبحت الفجوة الرقمية عنصراً جديداً في إنتاج اللامساواة الثقافية، إذ تختلف قدرة الأسر على الوصول إلى المعرفة الرقمية واستخدامها في دعم تنشئة الأبناء (Giddens, 2006). وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الأسرة لا تساهم فقط في إنتاج الهوية الثقافية، بل تلعب أيضاً دوراً محورياً في إعادة إنتاج التفاوت الثقافي داخل المجتمع، من خلال اختلاف مستويات رأس المال الثقافي المتاح لكل أسرة، مما يجعل الثقافة نفسها مجالاً لإعادة إنتاج اللامساواة الاجتماعية عبر الأجيال.

10. الأسرة بين الاستمرارية والتغير في إنتاج الهوية الثقافية:

تعيش الأسرة في المجتمعات المعاصرة حالة من التوتر البنيوي بين وظيفتي الاستمرارية والتغير في إنتاج الهوية الثقافية، حيث تُطالب من جهة بالحفاظ على الموروث الثقافي والقيمي للمجتمع، ومن جهة أخرى بالتكيف مع التحولات الاجتماعية والتكنولوجية السريعة التي تعيد تشكيل أنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية. هذا التوتر يجعل من

الأسرة مؤسسة ديناميكية تعيد إنتاج الثقافة بشكل مستمر وليس بشكل ثابت (Giddens, 2006).

في هذا السياق، تمثل الأسرة آلية أساسية لضمان استمرارية الهوية الثقافية عبر الأجيال، من خلال نقل اللغة والقيم والتقاليد والعادات الاجتماعية. غير أن هذا النقل لا يتم بطريقة ميكانيكية، بل يخضع لعمليات إعادة تفسير وتكييف تتأثر بالسياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي المحيط بالأسرة (Durkheim, 1997).

ومن منظور سوسيولوجي معاصر، يمكن فهم الأسرة كمؤسسة "إعادة إنتاج مرنة"، أي أنها لا تنقل الثقافة كما هي، بل تعيد صياغتها بما يتناسب مع التحولات الجديدة في المجتمع. فالقيم التقليدية مثل التضامن والاحترام لا تختفي، لكنها قد تأخذ أشكالاً جديدة تتلاءم مع نمط الحياة الحضرية والرقمية (Castells, 2010).

كما أن التغيرات في بنية الأسرة نفسها، مثل التحول نحو الأسرة النووية، وزيادة مشاركة المرأة في سوق العمل، وانتشار أنماط الحياة الفردية، ساهمت في إعادة تعريف أدوار التنشئة الثقافية داخل الأسرة. هذا التحول أدى إلى توزيع أدوار التنشئة بين أفراد الأسرة بشكل أكثر مرونة وتعدداً (Sassen, 2012).

ومن جهة أخرى، يفرض التغير الاجتماعي والتكنولوجي على الأسرة ضرورة التكيف المستمر مع مصادر ثقافية جديدة، مثل وسائل الإعلام الرقمية والتعليم الحديث، مما يجعل عملية إنتاج الهوية الثقافية

عملية تفاوض مستمرة بين القديم والجديد. هذا التفاوض يعكس طبيعة الثقافة كعملية حية وليست بنية جامدة (Giddens, 2006). كما أن هذا الوضع يؤدي إلى ظهور أنماط من "الهوية المركبة"، حيث يجمع الفرد بين عناصر تقليدية مستمدة من الأسرة وعناصر حديثة مستمدة من البيئة الخارجية، مما يعكس الطابع التعددي للهوية الثقافية في المجتمع المعاصر (Castells, 2010). وبناءً على ذلك، يمكن القول إن الأسرة لا تُعد فقط مؤسسة لحفظ الثقافة، بل هي أيضًا مؤسسة لإعادة إنتاجها في شكل متجدد، حيث توازن بين متطلبات الاستمرارية التاريخية وضغوط التغير الاجتماعي مما يجعلها فاعلاً أساسياً في دينامية الهوية الثقافية داخل المجتمع.

خاتمة:

يتضح من خلال هذا التحليل السوسيولوجي أن الأسرة ما تزال تحتفظ بمكانة مركزية بوصفها الفضاء الأول لإنتاج الهوية الثقافية وإعادة تشكيلها، رغم التحولات العميقة التي مست البنية الاجتماعية المعاصرة. فقد بينت الدراسة أن الأسرة لم تعد فقط إطاراً للتنشئة التقليدية، بل أصبحت فضاءً ديناميكياً تتفاعل داخله تأثيرات العولمة، والرقمنة، وتعدد مصادر التنشئة الاجتماعية، مما أدى إلى إعادة تعريف آليات نقل القيم والمعايير والرموز الثقافية.

كما أظهر التحليل أن التحولات المعاصرة لم تُلغ دور الأسرة، بل أعادت تشكيله في اتجاه أكثر تعقيداً، حيث أصبح الطفل والمراهق يتعرضان لتعدد في المرجعيات الثقافية (الأسرة، المدرسة، الإعلام، والفضاء

الرقعي)، الأمر الذي جعل عملية بناء الهوية عملية تفاوض مستمر بين ما هو تقليدي وما هو حديث. وهذا ما يفسر بروز هويات هجينة تجمع بين الانتماء المحلي والتأثيرات العالمية.

ومن جهة أخرى، تبين أن قدرة الأسرة على الاستمرار كفاعل أساسي في إنتاج الهوية الثقافية ترتبط بمدى قدرتها على التكيف مع التحولات الاجتماعية دون فقدان وظيفتها الرمزية والتربوية، من خلال تعزيز الحوار الداخلي، وتقوية الروابط الأسرية، وإعادة تنظيم العلاقة مع مؤسسات التنشئة الأخرى. وفي هذا السياق، تصبح الأسرة ليست فقط ناقلاً للثقافة، بل أيضاً فاعلاً في إعادة إنتاجها بشكل انتقائي وتفاعلي. وعليه، يمكن القول إن مستقبل الهوية الثقافية داخل المجتمعات المعاصرة سيظل مرتبطاً بمدى توازن العلاقة بين الأسرة وباقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية، في ظل بيئة اجتماعية تتسم بالتغير السريع وتعدد مصادر التأثير الثقافي.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

- 1- الخوالدة، تيسير محمد، والزيون، محمد سليم. (2008). إسهامات الإنترنت في التغيرات الثقافية والاجتماعية لدى الشباب في الأردن. مجلة كلية التربية، جامعة الزقازيق، 18(73)، 76-104.
- 2- توفيق، ميمي محمد عبد المنعم. (2018). شبكات التواصل الاجتماعي: النشأة والتأثير. مجلة كلية التربية، جامعة عين شمس، 24(2)، 193-237.

3-مطالقة، أحلام، والعمرى، رائقة على. (2018). أثر مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الأسرية من وجهة نظر طلبة جامعة اليرموك في ضوء بعض المتغيرات. مجلة دراسات: العلوم الشرعية والقانونية، الجامعة الأردنية، 45(4)، 263-283.

4-بالعربي، سعاد. (2015). أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية: دراسة ميدانية على عينة من طلبة مستخدمي موقع الفيسبوك بجامعة مستغانم (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر.

المراجع الأجنبية:

5-Berger, P. L., & Luckmann, T. (1966). *The social construction of reality: A treatise in the sociology of knowledge*. Anchor Books.

6-Bourdieu, P. (1990). *The logic of practice*. Stanford University Press.

7-Castells, M. (2010). *The rise of the network society* (2nd ed.). Wiley-Blackwell.

8-Durkheim, É. (1997). *The division of labor in society*. Free Press. (Original work published 1893)

9-Giddens, A. (2006). *Sociology* (5th ed.). Polity Press.

10-Sassen, S. (2012). *Territory, authority, rights: From medieval to global assemblages* (Updated ed.). Princeton University Press.

11-Weber, M. (1978). *Economy and society: An outline of interpretive sociology*. University of California Press.